



إيبارشية جنوبي الولايات المتحدة الأمريكية

الرسالة الشهرية للرهبان والراهبات والمكرسين والمكرسات

مايو ٢٠١٥

أبنائي الأحياء،

المسيح قام. بالحقيقة قام.

ونحن نحتفل بفترة الخماسين المقدسة – والتي سار فيها ربنا يسوع المسيح وسط تلاميذه ليثبتهم في دعوتهم – أتأمل في دعوتنا نحن والتي ثبتنا فيها، وأيضاً في كلمات القديس يوحنا الدرجي الذي قال: "أن المسيحي هو إنسان يقتدي بالمسيح فكراً وقولاً وعملاً."^(١) وأتساءل إذا ما كنا ننفذ هذه الكلمات حقاً... أتساءل إذا ما كانت حياتنا تقتدي بحياة ربنا يسوع المسيح فعلاً.

عندما اعتزل ملكنا وسيدنا العالم، كان طائعاً حتى الموت، عاش حياة فقيرة ومتضعة يخدم الآخرين، لطيفاً وديعاً، ناسكاً هادئاً، دوماً مصلياً ومحباً، إذن وبنعمته يجب علينا أن نحيا على نفس النهج. لكني أعتقد أننا كثيراً جداً لا نفعل هذا وذلك بسبب الأعداء العديدة التي نختلفها لتتحاشي الجهد المطلوب لاقتناء هذه الفضائل. ويستكمل الدرجي قوله السابق: "قدر ما يمكن لطبيعة البشر"، وأعتقد أننا نسلط تركيزنا على مثل هذه الكلمات، ليس بالطريقة التي يُقصد فهمها، ولكن لنبرر تراخيها وعدم رغبتنا أن ننكر ذاتنا بإخلاص وأن نحمل صليبنا لكيما نتحول إلى صورة ابن الله. ولهذا السبب فقد قررت أنه في هذه الرسالة والرسائل التالية لها، سوف نناقش الدرجات الموجودة في كتاب "السلم إلى الله" ليوحنا الدرجي. بدءاً من "الاعتزال عن العالم". وسوف نستكشف كل مرحلة من مراحل النمو ونقيسها بما حققناه نحن حتى نصل إلى المرحلة الأخيرة وقمة السلم وهي "الإيمان، والرجاء، والمحبة".

طبقاً للدرجي، هناك ثلاثة أسباب من أجلها يسعى الفرد للاعتزال عن العالم: "إما لأجل الملكوت العتيدي، أو بسبب كثرة خطاياها، وإما لأجل حب الله..."^(٢) ويستكمل قوله بعبارة في غاية الجمال: "لكن الله واضع جهادنا الصالح، ينتظر غاية سعينا ماذا يكون؟"^(٣). لذا، فيا أحبائي، أسألكم أو بالحري أدعوكم أن تقنعوني أن درجات هذا السلم هي ليست لعصرنا هذا، لأنه قد قيل لي أنها لم تعد عملية أو ممكنة التنفيذ. ولكني أقول لكم أننا نسعى في نفس المضمار الذي سعى فيه أسلافنا، والذي سوف يسعى فيه، يوماً ما، من يأتي بعدنا. مجرد أن العالم قد تغير لا يعني أن المعركة قد اختلفت ولهذا فما كان عملياً ويمكن القيام به في الماضي يمكن أيضاً القيام به الآن.

يقول الدرجي: "ليمائل من خرج من الدنيا – ليطرح عنه وسق خطاياها – أولئك الذين يجلسون خارج المدينة بين المقابر، ولا يكف عن ذرف الدموع الحارة الحامية، واستمرار تهديد قلبه المسكوب دون صوت يديه؛ حتى يبصر يسوع جائياً إليه، مدحرجاً عن قلبه حجر عماء."^(٤) ويسترسل قائلاً أن هذا لا يتسنى فعله إلا بالإرشاد الصحيح والاتضاع: "لنتشجع نحن مهما كنا ضعفاء ومقهورين من الآلام، ولنقدم يدنا اليمى للمسيح بإيمان غير ناقص معترفين بانحلالنا وضعف طبيعتنا، فسنحصل بالتأكيد على معونة منه تفوق استحقاتنا، إذا حططنا أنفسنا بغير توقف في عمق لجة التواضع."^(٥) ولهذا أسألكم أن تخبروني ما هو الذي لا يمكن القيام به حيال هذه النصيحة؟ ألم نزل مدعويين لحياة التوبة، والطاعة والاتضاع؟

(١) السلم إلى الله – القديس يوحنا الدرجي - الدرجة الأولى - في الاعتزال عن العالم ص ٣٦.

(٥) ص ٣٩.

(٤) ص ٣٨.

(٣) ص ٣٧.

(٢) نفس المرجع ص ٣٧.

ربما المبتدئين لديهم خبرة أكبر اليوم من المبتدئين في الأجيال السابقة، ولكن الفخاري الذي سوف يُشكلنا لم يتغير، ولو بدأنا رحلتنا بدون التسليم الكامل لرحمته من خلال الاتضاع والخضوع، إذن فكيف سيُشكلنا لما دعينا لنكون عليه؟

إن الطريقة التي نبدأ بها رحلتنا لها عظيم الأثر في تقدمنا – "لأن النفس الجليدة في الابتداء، عندما تنحل وتتواني، ينحسها تذكر حرصها الأول كما بمهماز. وهذا التذكر استعاد البعض غالباً حراقتهم، ونالوا أجنحة جديدة." (٦). يحدثنا الدرجي بأن غيرة الراهب الذي اعتزل العالم من أجل محبة الله لن تضعف (٧) لأن الذي يحب الله يخافه ويتبع وصاياه.

عندما نبدأ بداية قوية ملتصقين بكل قوتنا بالذي من أجل أن نكون معه قد اعتزلنا العالم، حينئذٍ سوف نقبل كل ما يأتي علينا من تجارب باستعدادٍ وشكرٍ غير متزعزين، بل مستمرين في النمو بسببها.

أعتقد أن مشكلتنا أننا نولي المزيد من الاهتمام إلى حقيقة أن الزمن قد تغير، وتقريباً ننسى نهائياً أن أساس إيماننا لم يتغير. على سبيل المثال، لو بدأت (أنا) رحلة في أرض جديدة مستخدماً خريطة قديمة لإرشادي فسوف أضل الطريق في آخر المطاف لأنه قد أضيفت الآن طرق جديدة، وأسماء الشوارع قد تغيرت، وعلى الرغم من أننا الآن نحيا في عصرٍ حديثٍ إلا أن الرحلة نفسها لم تختلف وبالتالي فما زلت أحاول الوصول من نفس النقطة "أ" إلى النقطة "ب"، كذلك بالرغم من أنني سوف استخدم خريطة جديدة وتقنيات حديثة وطرق مواصلات حديثة، إلا أن الوسائل الحديثة التي استعملها الآن لن تُغيّرني كمرتحل، ولن تمنعني هذه الوسائل الحديثة من تذكر الغاية التي خرجت من أجلها أولاً. أشهد أمام الله، أنني سوف أخوض المعركة كجندي بأسلحتي، كما فعل يوسف في مصر، وكما فعل موسى في البرية، وكما فعل داود مع شاول، وكما فعل دانيال أمام الملك...

سوف أناضل كما فعل آباؤنا الأولون قبلي إلى أقصى مدى بقدر ما تمكنني طبيعتي البشرية. "هذا مطلع أول. فيا من ارتقيته. لا ترجعن إلى الوراء." (٨).

ليكن سلام ومحبة ربنا يسوع المسيح مع جميعكم. والمجد لإلهنا إلى الأبد. آمين.